مفهوم الشخصية

تمهيد

يعتبر مفهوم الشخصية من المفاهيم الرئيسية في علم النفس بصفة عامة و علم النفس العيادي بصفة خاصة. يعتبر Allport من أهم الباحثين الذين درسوا الشخصية عند الأسوياء، حيث أحصى 50 تعريفا للشخصية سنة 1937. لقد تناول المختصون دراسة الشخصية وفق اتجاهاتهم النظرية (التحليلية و لاسلوكية و المعرفية...الخ) و في هذا الإطار اقترح Lewin سنة 1935 معادلة تقول بان سلوك الفرد مرتبط بالشخصية و بالوضعية أو السياق. و انطلاقا من هذا التعريف بدأ الباحثون في دراسة سمات الشخصية باعتبار ان الفرد يتمتع بنمط معين من السلوك و التفكير و المشاعر و الانفعالات و بالتالي فسمة الشخصية تسمح بتحديد الاختلافات بين الأفراد بالرغم من الانتقادات التي واجهت هذا الاتجاه خاصة من طرف Mischel (1968) الذي اعتبر ان سمة الشخصية غير ثابتة كما ان وسائل قياسها تشوبها عدة نقائص مثل عدم دقة و لكن الدراسات و الأبحاث اثبتت عكس ذلك و هذا ما لخصه Eysenck بقوله ان الشخصية تمثل " مزيج من السمات التي يميل الشخص إلى إظهارها في مواقف مختلفة، والتي تبقى مستقرة عبر الزمن".

1-تعريف الشخصية

يعود أصل كلمة الشخصية إلى اللاتينية "persona"، التي كانت تشير إلى «القناع» الذي كان يستخدمه الممثلون في المسرح اليوناني ثم بعد ذلك الروماني. أما إصطلاحا، فتطرق العديد من المختصين باختلاف توجهاتهم الى تعريف الشخصية و من أهم هذه التعاريف نذكر تعريف ألبورت (1937) "التنظيم الدينامي الداخلي لدى الفرد للأنظمة النفسية-الجسدية التي تحدد تكيفه الشخصي مع بيئته.

و منه تطرق ألبورت الى الشخصية باعتبارها تنظيم غير جامد ، تنظيم في حركة ، في تطور حيث تشمل مجموع العادات، والكفاءات، والانفعالات، والاستعدادات على اختلاف أشكالها و التي تلعب دورا مهما في تفاعل و تكيف الفرد مع محيطه.

كما عرف Pervin و أخرون (2005) الشخصية على أنها " النمطُ المميِّزُ للتكيّف، المتمثّل في الطريقة المعتادة في التفكير (العمليات المعرفية)، والشعور أو الإحساس (الانفعالات)، والتصرّف أو الاستجابة (السلوكيات)، والذي يميل إلى البقاء مستقرًّا نسبيًا خلال المواقف المختلفة وخلال الزمن "

و يعرفها كوترو و اخرون (2002) عل انها "الاندماج المستقر والفردي لمجموعة من السلوكيات والعواطف والإدراكات. يتعلق الأمر بأنماط الاستجابات العاطفية والإدراكية والسلوكية تجاه البيئة التي تميّز كل فرد عن الآخرين.

في يتعلق بالشخصية في علم النفس العيادي يتجه لاقاش (1948) الى اعتبار الشخصية كبنية و ليست مجموع من العناصر او المكونات كما تطرق اليه الكثير من الباحثين. و يعرف بارجوري (1985) بنية الشخصية على انها "نمطٌ دائم من التنظيم يُعَدّ الأعمق لدى الفرد، تنبثق عنه التكيّفات الوظيفية السويّة، بالاضافة الى الاعتلال المرضي"

و يضيف بارجوي أن هذه البنية تتسم بالتعقيد و لكن العناصر المكونة لها تبقى ثابتة و تتفاعل فيما بينها.

2 -تعريف بعض المصطلحات المجاورة

يوجد العديد من المصطلحات التي تتربط بالشخصية و هي:

الطبع : يعرف لاقاش الطبع على أنها "مجموع الاستعدادات و القدرات التي تضبط كينونة الفرد و كيفية تفاعله في علاقاته مع المحيط و مع نفسه"

و منه يعتبر الطبع مجموع سمات الشخصية التي تحدد طبيعة الفرد و كيفية تعامله مع الآخرين بصفة عامة.

المزاج

يعرفه Shiner و أخرون (2012) " ميولًا (استعدادات) أساسيةً مبكرةَ الظهور في مجالات النشاط، والوجدانية، والانتباه ، والتنظيم الذاتي، وهي نتاجُ تفاعلاتٍ معقّدة بين العوامل الوراثية والبيولوجية والبيئية عبر الزمن"

يتفق الباحثون على ان المزاج يظهر من خلال الاختلافات بين الأفراد فيما يخص مجموعة من الاستعدادات خاصة في الانتباه و التنظيم الذاتي كما أنها يظهر بصورة مبكرة في حياة الفرد و تتدخل فيه مجموعة من العوامل البيولوجية و المحيطية.

أما سمات المزاج التي يتم استخلاصها فهي: الانفعالية (شدّة الانفعال، والتي تتجلى في البداية في ضيق غير متمايز ثم في الخوف والغضب)، والنشاط (كمية النشاط الحركي)، والاجتماعية (القرب أو الميل إلى التفاعل مع الآخرين)، والاندفاعية (الاستجابة مقابل الكفّ أو التثبيط(

تختلف السمات الخاصة بالمزاج عن تللك المرتبطة بالشخصية " لكونها قابلة للملاحظة منذ الولادة وخلال الطفولة، ولأنها تُفترَض ذاتَ أساسٍ وراثيٍّ وعصبيٍّ فيزيولوجي".

كما يكمن الاختلاف بين المزاج و سمات الشخصية حيث ان مضمون هذه الأخيرة تكون أوسع من المزاج و يرجع ذلك الى دور نضج الفرد و خبراته و التي تسمح بظهور سمات أخرى كنت مختفية. كما ان المزاج يظهر بصورة جلية في مرحلة الطفولة.

سمات الشخصية

Morizot و Miranda (2007)

تشكل السمة الوحدة الأساسية لشخصية الفرد حيث يقترح قالان تعريفا شاملا (2019) "مكونات السلوك (الإدراكات، الانفعالات، التصرفات) التي تُظهر تناسقًا نسبيًا داخل الفرد واستقرارًا نسبيًا عبر الزمن.وهي استعدادات للتصرّف (إدراكات، عواطف-انفعالات، سلوكيات) بطريقة قابلة للتحديد استجابةً لمتطلبات الموقف، وتتميز بها شخصية الفرد، وتسمح بتمييزه عن الآخرين، مما يجعل منه شخصًا فريدًا". أما McCrae و Costa (1990) عرفا سمات الشخصية باعتبارها " أبعاد تصف الفروق الفردية في النزعات إلى إظهار أنماط منهجية من الأفكار والانفعالات والأفعال".

تعتبر السمات اذا خصائص او ميول لا يمكن ملاحظتها بصورة مباشرة و لا عن طريق الأستبطان و لكن تعبيرها السلوكي يتم ملاحظته و استنتاجه في المواقف المتكيفة التي تواجه الفرد. أنها تتفاعل مع مثيرات المحيط و الذي يسمح بالتكيف .

الشخصية و السمة

يقول البورت ان الشخصية " التنظيم الدينامي للسمات التي تحدِّد التكيّف الفريد للفرد مع بيئته" غير أنّ التكيّف الفريد للفرد مع بيئته لا يتحدد بالشخصية وحدها، بل يتأثر أيضًا بخصائص شخصية أخرى غير الشخصية نفسها، مثل القيم والاهتمامات وغيرها، وبخصائص الموقف كما يدركه الفرد ويمثّله ذهنيًا، فضلًا عن الدينامية الفريدة الناتجة عن تفاعل مجموع هذه العناصر

شبهت Morizot و Miranda (2007) الشخصية بالألماس و منه فسمات الشخصية تظهر في الأبعاد المكونة للألماس. و منه للحصول على وصف كلي للشخصية يجب تقييم كل الأبعاد.

أظهرت الدراسات و الأبحاث على أن السمات تبقى ثابتة بنسبة كبيرة من جهة و من جهة اخرى يمكن للسمات ان تتنبأ بعض الخصائص مثل الإبداع و الطبع المرح سنوات قل ذلك (توفّر السمات البنية المستقرة للشخصية، التي تسمح ضمنها للمسنّ على مواجهة متطلبات الحياة، والتكيّف معها، والدفاع عن ذاته، والتعويض، أو إعادة التكيف Costa et McCrae) .

لم يتفق المختصون و الباحثون حول عدد السمات الشخصية فمثلا ابزنك اكتفى ب3 ، كاتل 16، قيلفورد 13 ، 5 عوامل في النموذج 5 عوامل...الخ

3-تطور الشخصية

تتأثر الشخصية بدور العوامل الوراثية حددها ما بين 40 الى 60 بالمائة كما تتأثر الشخصية بالتجربة و المحيط من خلال دور الأسرة و دور العوامل الاجتماعية و الثقافية. يرى Kardiner ان المؤسسات الأساسية في المجتمع تحدد الشخصية القاعدية و التي من جهتها تسمح بظهور مؤسسات ثانوية مثل الفن. عارض Costa و McCrae هذا الاتجاه فيما يخص نموذجهما الخاص بالعوامل الخمسة حيث اعتبروا ان سمات الشخصية تظهر في كل البلدان و لا تتأثر بالاختلافات الثقافية لأنها تشكل نواة الكائن الإنساني.

4- نماذج الشخصية

اقترح مجموعة من الباحثين نماذج نظرية في محاولة لفهم شخصية الفرد و منها :

نموذج Allport

اتجه الى دراسة الشخصية بصورة عامة حيث اعتبرها كما قلنا سابقا في حالة تطور و تغير و تتدخل في تكوينها عوامل بيولوجية و وراثية و محيطية. اعتبر ان سمات الشخصية تمثل خصائصها حيث تسمح بوصف سمات شخصية خاصة بالفرد (نمط معين من السلوك خاص بالشخص في وضعيات مختلفة) و سمات عامة نجدها عند كل الافراد الذين يعيشون في سياق معين. للتذكير يميز Allport بين السمات المحورية و هي سمات مهيمنة و لكنها نادرة و السمات المركزية (ما بين 5 الى 10) حيث تميز الاختلافات بين الأفراد و السمات الثانوية ، غير ثابتة و ذات تأثير ضعيف على سلوك الفرد. يرى البورت ان شخصية الفرد الراشد لا تشكل امتداد للمراحل العمرية السابقة و يبرر ذلك بان الراشد له مبرراته و حوافزه مقارنة بالطفل.

نموذج Cattell

اعتمد ريموند كاتل في دراسته للشخصية على التحليل العاملي بهدف التعرف على أهم سمات الشخصية التي تنتشر بصورة كبيرة عند الأفراد و لما لا تقديم تفسير و تحليل لأهم الاختلافات بينهم. يميز كاتل بين السمات المشتركة بين الأفراد و بين السمات الخاصة بكل فرد. كما يميز كذلك بين السمات السطحية الظاهرة التي تميز شخصية الفرد و بين السمات الأصلية التي نستطيع من خلالها تفسير سلوك الفرد بصفة عامة. كما وصف نموذج لتصنيف السمات هلى شكل مهارات (مستوى فعالية الفرد في تحقيق الأهداف المهمة) و السمات المزاجية (النوع العام و النوع الانفعالي مثل القابلية للغضب) و السمات

الدينامية (الدوافع التي تحدد و توجه السلوك). للتذكير وصف كاتل 16 سمة للشخصية و صمم إستبيان أطلق عليه عوامل الشخصية 16 (Sixteen Personality Factor)

نموذج Eysenck

اقترح هانز Eysenck نموذجا هرميا لسمات الشخصية التي يعتبرها ذات اساس موروث و بيولوجي. يعتمد هذا النموذج الهرمي على التحليل العاملي حيث نجد في القمة البعد العام (الانبساط) ثم بعد ذلك نجد السمة (شخص الاجتماعي) ، بعد ذلك نجد الاستجابة المعتادة (الابتسامة) و بعدها الاستجابة الخاصة (المزاح).

وصف أيزنك 3 أبعاد على متصل تشمل : الانبساط مقابل الانطواء (الانفتاح و علاقات اجتماعية و النشاط/ الانعزال و الهدوء) ، العصابية (القلق و سرعة الغضب، الشعور بالنب) مقابل التوازن العاطفي، وسمة ذهانية (البرودة و العدوانية و نقص التعاطف) مقابل قوة الذات (الأنا).

لقياس هذه السمات ، صمم ايزنك اتبيان (Eysenck Personality Questionnaire : EPQ) و النسخة المراجعة EPQ-R , تسمح للمفحوص أن يجيب بنعم ام لا.

نموذج العوامل الخمسة

مجموعة من الباحثين قاموا بتحليل معطيات خاصة جمعها كاتب و خاصة يوصف السمات (وصف للشخصبات من طرف الزملاء) و توصلوا الى الكشف عن تواتر 5 عوامل ، حيث وصفها Goldberg و هي : العصابية و الأنبساطية الأنفتاح على التجربة. بالاضافة الى والمقبولية، ويقظة الضمير

يوجد العديد من المقاربات لنموذج العوامل الخمسة حيث نجد خاصة نموذج Goldberg و نموذج Costa و McCrae.

اقترح Costa و McCrae نظرية للشخصية تعتمد على 5 عوامل رئيسية حيث يشمل كل عامل على 6 أوجه و هذا ما يسمح بمقاربة دقيقة للشخصية . تتمثل هذه العوامل الخمسة فيما يالي:

العُصابِيّة، والانبساطية، والانفتاح على الخبرات الجديدة، والمقبولية، ويقظة الضمير.

نموذج Cloninger

اقترح هذا النموذج سنة 1980 حيث يشمل على 3 ابعاد رئيسية و هي : البحث عن الجِدّيد (الميل إلى الاستجابة بالإثارة أو الانفعال تجاه المحفّزات الجديد بهدف الحصول على مكافأة محتملة و تجنب الملل و العقاب.) و تجنّب الخطر(الميل الذي يظهره الفرد للاستجابة بدرجة أكثر أو أقل شدة للمؤثرات المزعجة، مع استجابة تثبيطية تهدف إلى تجنّب العقوبات، أو الجديد، أو الإحباطات.

و الاعتماد على المكافأة (الميل للاستجابة باستمرار وبشدة لإشارات المكافأة، مثل الموافقة الاجتماعية والشخصية، ولتجنّب العقوبة.)

حيث ترتبط بالانفعالات الاساسية الغضب و الخوف و الحب. يقترح فرضية مردها الشخصية السوية و المرضية توجدان على متصل ، أي انهما مرتبطان بيعضهما البعض. كما ان كل بعد مرتبط بمنطقة معينة في الجهاز العصبي و بوسيط كميائي معين فالبعد الأول مرتبط بالجهاز العصبي المركزي و المسار الذي يساعد على افراز الدوبامين و هذا ما يشجع على الأستكشاف ، اما البعد الثاني فمرتبط بالنظام الخاص بالسيروتونين اما البعد الثالث فمرتبط بالنور أدرينالين.

اعتمد الباحث على فرضية مفادها ان هذه الابعاد الثلاثة تحدد طبيعة الشخصية عند الفرد كما ان تواجدها في شخصية واحدة يؤدي الى ظهور سلوكات متعددة مرضية مثل الشخصية المضادة للمجتمع (نسبة كبيرة للبعد الأول و قليلة للبعدين الآخرين) .

تعرض هذا النموذج لانتقادات كثيرة خاصة فيما يتعلق بعدم تغطية هذه الأبعاد لكل عناصر الشخصية و منه قام الباحث بإضافة 4 ابعاد اخرى و منها الاستمرارية او المثابرة و الدوام و يقصد بها "نزعة الفرد إلى مواصلة سلوكٍ ما دون أخذ عواقب هذا السلوك بعين الاعتبار، وهي سمة تُلاحظ لدى الأفراد المجتهدين، الشجعان والمثابرين. اعتبر الباحث هذه السمات الأربعة ابعاد مرتبطة بالمزاج (تأثير العوامل الوراثية) و اضاف 3 انواع أخرى ادمجها فيما اطلق عليه بالطبع الذي يعرفه على انه "أبعاد في الشخصية تتحدد من خلال التعلم الاجتماعي والتعلم المعرفي، وبالتالي فهي غير متأثرة بالعوامل الوراثية"

يُعرَّف **تقرير المصير الذاتي** على أنه قدرة الفرد على التحكم في سلوكياته وتنظيمها وتكييفها من أجل مواجهة موقفٍ ما، بما يتوافق مع قيمه وتوجهاته الشخصية.
وتأخذ سمة **التعاون** بعين الاعتبار تقبّل الآخرين ؛ إذ يُوصَف الفرد المتعاون بأنه متسامح، اجتماعيي، متعاطف، مستعد لتقديم المساعدة، ويتسم بالرحمة.
وعلى النقيض من ذلك، يُوصَف الفرد ضعيف التعاون بأنه غير متسامح، قليل الاجتماعية، ويُبدي اهتمامًا محدودًا بالآخرين.
وأخيرًا، تشير **سمة التعالي، التسامي** إلى البعد الروحي في الشخصية